



”يا يسوع المسيح ذو الاسم المخلص”

دراسة لمنهج الصلاة الأرثوذكسية
في إبصاليات (تراتيل) لاسم الرب يسوع المسيح
في التسبحة السنوية

دكتور

جورج حبيب بباوي

أكتوبر ٢٠١٢

من المؤكد حسب الدراسات الحديثة ان صلاة يسوع هي ممارسة آباء الإسقيط، لأن كل المصادر النسكية القديمة تشير إلى آباء الإسقيط في القرن الرابع، وربما قبل الرابع؛ لأن ما يُكتب في القرن الرابع ليس من تسليم آباء هذا القرن، وإنما هو تسليم سابق دُونَ في هذه الفترة بالذات.

العهد الجديد يؤكد أن بشارة الخلاص - كما أُعلِنَت في يوم العنصرة وما بعده - هي أنه "لا يوجد اسم آخر تحت السماء قد أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص" (أع ٤: ١٢)، وهو اسم يسوع الذي تبدأ به صلاة قسمة سبت الفرح حيث يقام القداس الإلهي، وذكرى دفن الرب ماثلة، ولكننا نأخذ "الجسد المحيي" و"الدم الكريم"، والاسم ليس اسم مَنْ هو في القبر فقط، بل مَنْ هو في الفردوس مع اللص، وعن يمين الله الأب، وكائنٌ معنا دائماً "عمانوئيل إلهنا في وسطنا بمجد أبيه مع الروح القدس". كانت أول وصية للقمص مينا المتوحد: "يا ابني احفظ الإبصاليات لاسم الرب يسوع، وابدأ صلواتك بها".

وعاشت معي الإبصاليات. وعندما نشرت مكتبة مدارس أحد الجيزة "مذكرات سائح روسي لأبيه الروحي" تعريب الأستاذ يسي حنا، قرأت الكتيب واشتعل قلبي، لكن الممارسة من روسيا. هي حقاً أرثوذكسية، ولكنني بدأت أُعيد النظر في الإبصاليات، ماذا تقول، وما هو منهج الصلاة؟

- "كلُّ نَفْسٍ أَنْتَسَمَهُ أُسَبِّحَ اسْمُكَ الْقُدُوسِ".

(إبصالية السبت).

ولاحظ هنا كيف تحثنا الإبصالية على الانتباه أثناء تلاوة الاسم:

- "تَجَمَّعِي فِيَّ يَا كُلُّ حَوَاسِي لِأُسَبِّحَ وَأُجَمِّدَ رَبِّي يَسُوعَ".

(إبصالية الاثنين).

ويجب أن ننتبه إلى معنى هذه العبارة الوافدة إلينا من الاسقيط:

ΚΑΤΑ ΚΟΥΧΙ ΚΟΥΧΙ

الترجمة العربية تقول: "في القليل القليل نذكرك، ونمجّد اسمك يا ربّي يسوع". وهي هنا ترجمة حرفية. لكن العبارة حسب التركيب اللغوي هي مثل كل عبارات الآباء النساك، قصيرة ومرتبّة بشكل سهل. وهي لا تعني "في القليل القليل"، فليس هذا هو المقصود، وإنما هي عبارة قبطية من قبيل الأمثال *Parable* وتعني في العامية المصرية "على مهلك"، أو في "بطء وانتباه"، فهي *Idiom* تعني "بلا انقطاع، وفي تمهّل"، وكأن الإبصالية تطلب من المصلي أن يتذوق حلاوة الاسم؛ لأن التلاوة أو النطق هي بالروح القدس.

- "أرسل لنا هذه النعمة العظيمة التي لروحك القدوس المعزّي. لكي

أنطق بكرامة يسيرة من أجل اسمك القدوس المبارك. هذا الذي تمجّد في أفواه

قديسيك الأبرار سكان الأرض".

(إبصالية الثلاثاء).

وهذا المقطع من الإبصالية لا يختلف عن عبارة الأوشية إلّا في الألفاظ:

"اسمك القدوس هو الذي نقوله، فلتحيا نفوسنا بروحك القدوس".

ولا يمكن فصل اسم الرب في تقديم البخور، وبالذات في أوشية بخور الابن في

العشبة:

"أيها المسيح إلهنا العظيم .. طيبٌ مسكوبٌ هو اسمك القدوس (نش)

(٣ : ١) وفي كل مكان يُقدّم بخورٌ لاسمك القدوس وصعيدة طاهرة".

ولا شك أن هذا التناغم أو الهارموني الدائم بين ما يُقال وما يُمارَس في الطقس

يحتاج إلى دراسة موسعة؛ لأن تقديم البخور لمن هو اسمه "طيب مسكوب"، هو ظهور مجد الحياة الجديدة. ويعلّق العلامة أوريجينوس على كلمات النشيد: "اسمك طيب مسكوب" قائلاً:

"إن هذا هو بمثابة نبوة نطقت بها العروس عن المسيح لأنه عند مجيء ربنا ومخلصنا تمت هذه النبوة؛ لأن اسمه قد ذاع في كل المسكونة مثل طيبٍ فائقٍ وعطرٍ قال عنه الرسول: "نحن رائحة المسيح الذكية في كل مكان" (٢ كو ٢: ١٤ - ١٦).

(شرح نشيد الأناشيد الكتاب الأول ٤ ص ٧٤-٧٥).

وانسكاب الاسم هو، كما يشرح أوريجينوس:

"من أجل النفوس الصغيرة الفتية؛ لكي تنمو نحو الحياة الأفضل؛ لأن من هو في "صورة الله" أخلى ذاته لكي يصبح اسمه "مسكوباً"؛ لأنه لا يسكن فقط في السماء في النور الذي لا يُقترَب منه حسب صورة الله، بل لأن الكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا. لأن كل نفس تقترَب من الكلمة الله - وحسب نمو كل نفس في الإيمان - قد جذبت كلمة الله الابن، وغرسته في عقولها وفهمها وذافت عذوبة وفرح العطر المسكوب؛ لأن هذه النفوس قد قبلت رائحة الاسم المسكوب وأدركت غاية تجسده والفداء الذي تم بآلامه والمحبة التي جعلته، وهو علم الموت يقبل موت الصليب من أجل خلاص كل البشر".

(المرجع السابق ص ٧٥ - ٧٦ من مجلد ٢٦ سلسلة Ancient

Christian Writers شرح سفر النشيد - العظات على سفر النشيد).

وإذا تذكرنا أن كلمات العلامة العظيم كُتبت في القرن الثالث، فإن من يقرأ عبارات من الإبصاليات لا يمكنه أن يفقد العلاقة الواضحة بينها وبين الإبصاليات كتراويل اسكندراية قديمة جداً. ولكن القَدَم ليس هو محور البحث هنا، بل هذه المحبة الفائقة لاسم الرب يسوع، وفي نفس سياق شرح العلامة أوريجينوس، هذا ما تُعلِّمنا إياه الإبصاليات:

- "تعال إلينا اليوم يا سيدنا المسيح،
وأضيء علينا بلاهوتك العالي (السماوي)
- أرسل لنا هذه النعمة العظيمة التي لروحك القدوس المعزّي
- اسمك القدوس يا ربّي يسوع ...
- هو يكون لهم طعامَ حياةٍ تقنات به نفوسهم وأجسادهم معاً.
- هو يكون لهم ينبوع ماء حياةٍ حلواً ... أكثر من العسل.
تفرح به قلوبهم وتزهر أجسادهم".
(إبصالية الثلاثاء).

الاستنارة:

- الاستنارة هي عمل الروح القدس (عب ٦ : ١ - ٤):
- "فليكن اسم الرب فينا؛ ليضيء علينا في انساننا الداخلي".
(إبصالية الاثنين).
- "إذا نطقوا به تستنير عقولهم،
وترتفع إلى العلا (السماويات) قلوبهم".
(إبصالية الثلاثاء).
الاستنارة هي للحياة، ولأنه لا فرق بين الشخص والاسم؛ لذلك اسم ربنا يسوع
هو:

- "مجرى المياه هو مخلصنا ربنا يسوع المسيح،
والملازمون له تحيا نفوسهم".
(إبصالية الأربعاء).

الاسم والإفخارستيا والصليب:

- الاسم هو حضور الرب حتى أثناء دراسة الأسفار المقدسة:
- "كل الصديقين الذين أرضوا الله يدرسون الناموس كله،

والله كائن أمامهم واسمه القدوس في أفواههم كل حين".

(إبصالية الاثنين).

ولأن الاسم لا يمكن فصله عن الشخص؛ فهو "نداء الشخص" وهو خبز

الحياة:

- "الله هو عمانوئيل الطعام الحقيقي شجرة الحياة التي لا تموت".

(إبصالية الاثنين).

"وطعام الحياة" هو أحد الاسماء القديمة جداً للإفخارستيا حفظته كل

الليتورجيات الشرقية، ولذلك لاحظ:

- "يقوم حولك الشاروبيم والسارافيم، ولا يستطيعون أن ينظروك

ونحن ننظرُك على المذبح كل يوم ونتناول من جسدك ودمك الكريمين".

(إبصالية الاثنين).

هذا لا يفصل صلاة يسوع عن الإفخارستيا؛ لأن نداء الشخص بالاسم هو في

كمال الاتحاد به؛ لذلك شخص يسوع هو:

- "الحجر الحقيقي الكثير الثمن،

الذي باع الرجل التاجر كل ما له واشتراه.

اترك لنا نحن أيضاً الآن هذا الحجر؛ ليضيء علينا في انساننا الداخلي.

زينة نفوسنا وفرح قلوبنا هو اسمك القدوس، يا ربي يسوع المسيح".

(إبصالية الاثنين).

الاسمُ طعامُ حياةٍ؛ لأن الاسم = الشخص:

"اسمك القدوس يا ربي يسوع هو ينجيهم من جميع شدائدكم.

هو يكون لهم طعام حياة تقّات به نفوسهم وأجسادهم معاً".

(إبصالية الثلاثاء).

ولذلك - كما ذكرنا من قبل - يحمل نطق الاسم الاستنارة وينقل العقل

Нoуc الإدراك إلى ما هو أعلا من الفكر الحسي الوافد من الحواس (إبصالية الثلاثاء).

وابصالية الخميس لها مكان خاص في صلاة يسوع، فهي تبدأ بالميلاد الأزلي من

الآب إلى الميلاد في بيت لحم، ثم المعمودية في الأردن، والصوم في البرية، والصلب والدفن، والقيامة والظهور الثاني الذي ينتهي ب:
- "أصنع معنا محبة في منبرك المخوف".

(إبصالية الخميس).

هذا الايقاع اللاهوتي الضخم جداً، هو ما نراه في ترتيب التديير السكندري، ولذلك تنقلنا صلاة يسوع إلى حياة يسوع من الولادة الأزلية إلى الظهور الثاني.

الاسم وعلامة الصليب في يوم الصلبوت (يوم الجمعة)

تُعد ابصالية يوم الصلبوت (الجمعة) من القطع اللاهوتية النسكية التي لا مثيل لها في صلوات الكنائس الأرثوذكسية الأخرى.

- "بالحقيقة قد تقدّمت إلى رأس Κεφαλαίον عظيم،

هو اسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح".

(إبصالية الجمعة).

والرأس هو الذي يجمع كل شيء في السماء وعلى الأرض (أف ١ : ١٠)، وهو التعليم اللاهوتي القديم جداً الذي سلّم إلينا بواسطة القديس إيريناوس، والمعروف باسم *Recapitulation* (راجع ضد المهرطقات للقديس إيريناوس ٣ : ١٨ - ٣ : ٢١ - ٣ : ٢٢ - ٣ : ٢٢).
المسيح هو آدم الثاني الذي جاء لكي "يحل" كل ما أفسده آدم الأول، وأن يأخذ في كيانه كل مراحل حياة الانسان، من الحبل - الولادة - البلوغ - الموت لكي يقدّم بعد ذلك تحرير الإنسان من الأصل البيولوجي (الولادة)، ومن الموت بالصلب وبالقيامة يؤسّس الحياة الجديدة. ثم يجمع كل الدهور "السماء والأرض"، وهو ما تعبّر عنه كنيستنا في التسبحة التي تصلي بها بعد يوم الصعود ومجيء الروح القدس:

"فلنسيح اسم الرب؛ لأنه بالمجد تمجدّ

صعد إلى أعلا السموات

أرسل لنا البارقليط، روح الحق المعزّي

جعل الاثنين واحداً، أي السماء والأرض.

وهكذا يتم هذا الاجتماع تحت رأس واحد عظيم يعبر عنه "اسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح".

وبعد ذلك تقول الابصالية إن الرب يسوع أعطى "علامة لعبيده". ونلاحظ هنا أن الاسم يرافق العلامة؛ لأن العلامة ليست هي الاسم، بل هي علامة الصليب؛ لأن قطع الابصالية تقال في يوم الصلبوت، وهذه العلامة هي "الهروب من وجه القوس"، وهو تعبير قبطني قديم عن الشيطان، العدو الذي يرسل سهام التجارب، ومن ثم تتوالى هذه العلامات: "سد أفواه الأسود"، و"إطفاء النار"، و"إخراج الشياطين"، و"التسلط على الأعداء"، و"شفاء المرضى". وفي النهاية يأتي التعبير الواضح عن العلامة والاسم:

- "هذا هو اسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح،

وصليبه المحيي الذي صُلب عليه".

(إبصالية الجمعة).

لذلك كانت وصية القمص مينا المتوحد - البابا كيرلس السادس هي أن يرشم الصليب يجب أن يصاحبه: "يا ربي يسوع المسيح"، أي "باسم الآب والابن والروح القدس. يا ربي يسوع المسيح خلصني"، فرشم الصليب هو عرس النفس والجسد في قوة المعمودية وفداء اسم الخلاص.

- "طوبى للإنسان الذي يترك عنه هذه الحياة الفانية،

المملوءة تعباً القاتلة للنفس،

ويحمل صليبه يوماً فيوماً، ويلصق عقله وقلبه باسم الخلاص،

الذي لربنا يسوع المسيح".

(إبصالية يوم الصلبوت - الجمعة).

اسم يسوع ووصية المحبة:

صلاة يسوع ليست للعزلة حيث تنمو ضعفات النفس الإنسانية، بل هي البقاء

في شركة الكنيسة. هذا ما تؤكدُه ابصالية الأربعاء:

- "فليفرح ويتهلل طالبوا الرب،

الملازمون كل حين في تلاوة اسمه القدوس".

(إبصالية الأربعاء).

هذه هي صلاة "المجمع"، أي جماعة الكنيسة؛ لأن هؤلاء في المجمع

- "هم الأشجار التي تكلم عنها المرتل داود،

أما نابتة عند مجاري المياه تعطي ثمرةً كاملةً".

(إبصالية الأربعاء).

ولكن، ما هو مجرى المياه أي نهر الحياة؟

- "مجرى المياه هو مخلصنا ربنا يسوع المسيح،

والملازمون له تحيا نفوسهم".

(إبصالية الأربعاء).

ولأن الاسم لا ينفصل عن الشخص، لذلك تعبّر الإبصالية فيما يسمى

"بالسهل الممتنع" عن ذلك، فتقول:

- "الحبة التي تكلم لأجلها الرسول القديس،

أي اسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح".

(إبصالية الأربعاء).

فكيف جمعت الإبصالية كل عبارات (١ كو ١٣ : ١ - ٨)، وهي أعظم ما

كُتِبَ عن المحبة في تاريخ الإنسانية؟ والجواب هو أن ما ذكره الرسول عن المحبة:

- المحبة تتأني وترفق

- المحبة لا تحسد

- المحبة لا تتفاخر

- تفرح بالحق...

"هذا كله متجسّد في شخص يسوع" (القمص مينا المتوحد)؛ لأن يسوع =

مخلص، وهو اسم وصفة وعمل واستعلان إلهي = البشارة = الانجيل = التجسد والصلب

والقيامة.

لكن تدفق هذه الحياة الإلهية فينا بواسطة الرب هو كما تقول الإبصالية يحملنا

إلى:

- صنع الرحمة

- اضافة الغرباء

- "فإن كنا مُعوزين من أموال هذا العالم،

وليس لنا شيء نعطيهِ،

فلنا الجوهرة، اللؤلؤة الكثيرة الثمن،

الاسم الحلو المملوء بمجداً، الذي لربنا يسوع المسيح.

إذا ما لازمناه في إنساننا الداخلي،

فهو يجعلنا اغنياء حتى نعطي آخرين".

(إبصالية الأربعاء).

صلاة الجماعة:

على الرغم من الطلبة الخاصة الظاهرة بوضوح في ابصالية الأحد:

- "طلبتك من عمق قلبي، يا ربي يسوع أعني

حل عني رباطات الخطية".

إلا أننا لا يجب أن ننسى أن:

- "كل الألسنة معاً تبارك اسمك يا ربي يسوع أعني". (الأحد).

- "ألوف ألوف ربوات ربوات يسبّحون ويمجدون ربي يسوع" (الاثنين).

- "تعال إلينا اليوم يا سيدنا المسيح ... (الثلاثاء).

- "فليفرح ويتهلل طالبوا الرب،

الملازمون كل حين تلاوة اسمه القدوس" (الأربعاء).

- "يا أحبائي، فلنطرح عنا ميول قلوبنا الرديئة التي تجذبنا إلى الخطية،

ولنبارك اسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح بدون انقطاع"^(١) (الخميس).

(١) راجع الربع الخاص بـ ΚΑΤΑ ΚΟΥΧΙ ΚΟΥΧΙ

- "إذا ما رتلنا فلنقل بلذة يا ربنا يسوع المسيح،

أصنع رحمة مع نفوسنا" (الجمعة).

- "أعطي فرحاً لنفوسنا ذكر اسمك القدوس" (السبت)

وبعد كل هذا، هل هذا هو كل ما في الابصاليات لاسم ربنا يسوع المسيح؟

بكل تأكيد لا.

العبرة في التركيب اللغوي هو البساطة المطلقة في الصياغة، وترتيب أكثر المقاطع على ترتيب الحروف الأبجدية القبطية. ولكن ما هو ظاهر بشكل واضح، هو استخدام نفس الألفاظ التي استخدمت في القداسات، مع اضافة ما سُلِّمَ إلينا من الحياة النسكية.

لا زال في الابصاليات الكثير، وكل ما أرجوه هو أن تكون هذه بداية الغيث.

يا أبي القمص مينا المتوحد أذكر كنيستنا، ومصر بلدك الذي عشت فيه وأحببته؛

لكي يوجد علينا الأب السماوي بأب بطريك يعرف شريعة المحبة،

ورئيس ينهض ببلادنا العظيمة.

د. جورج حبيب بباوي